إنتليجنس بريف

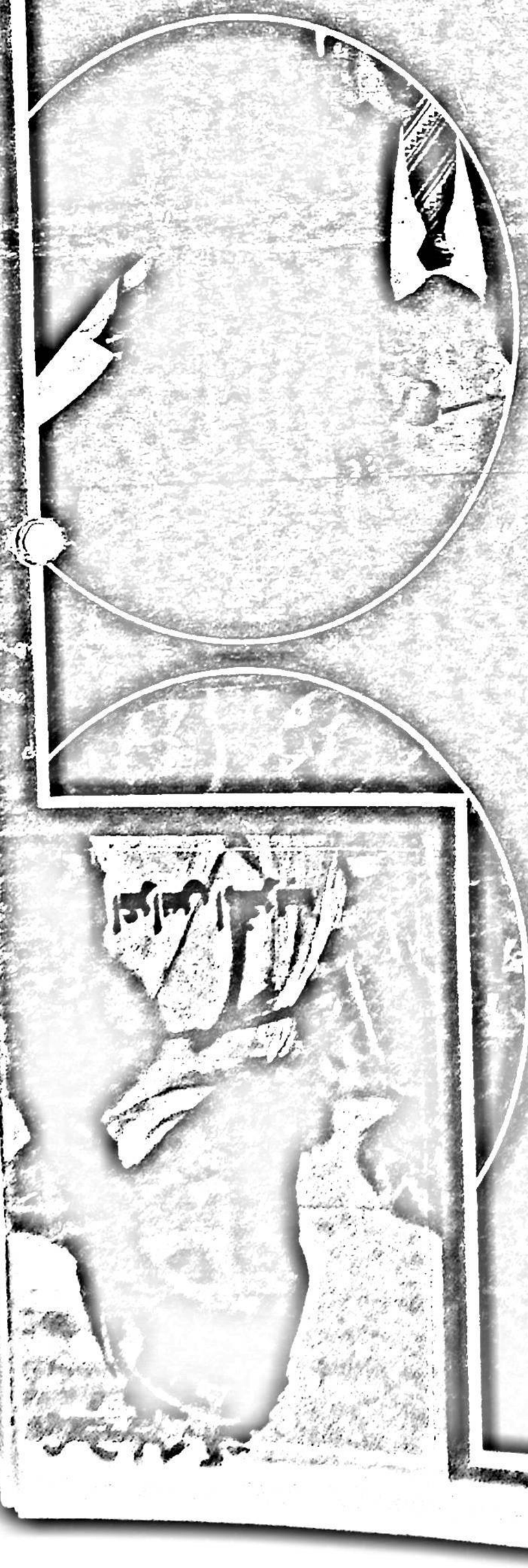

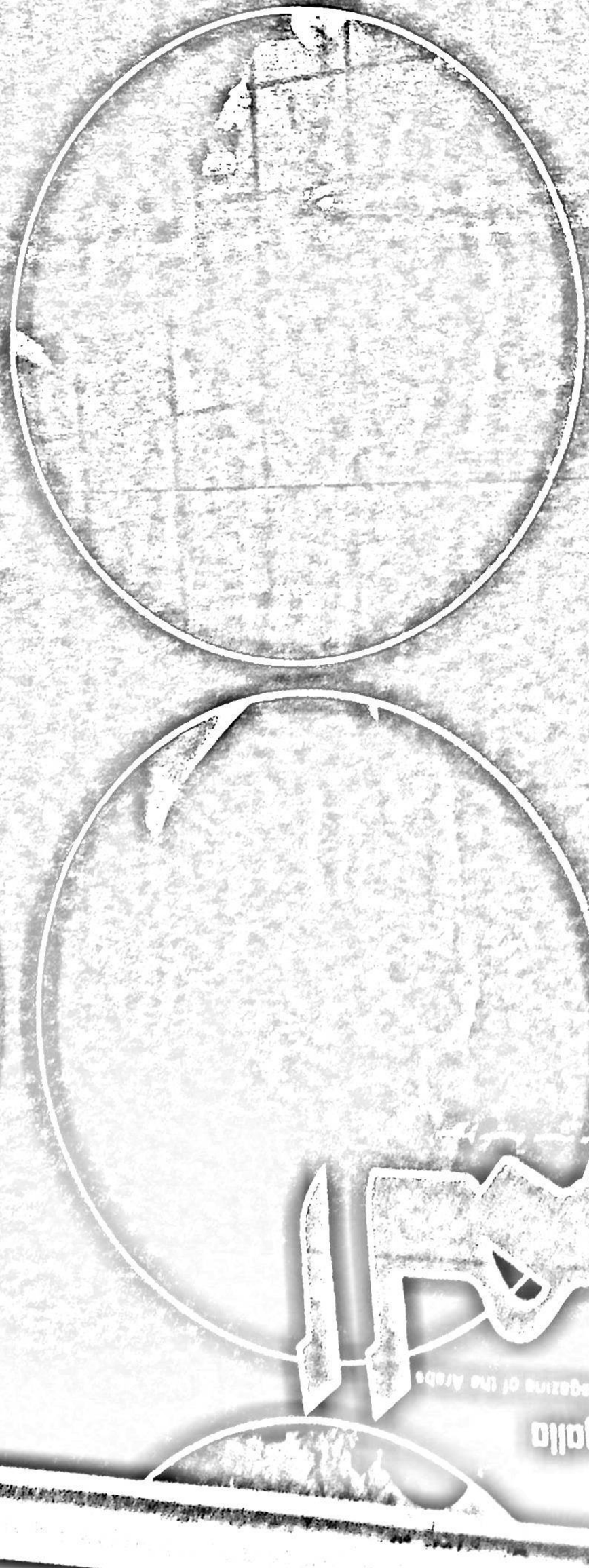

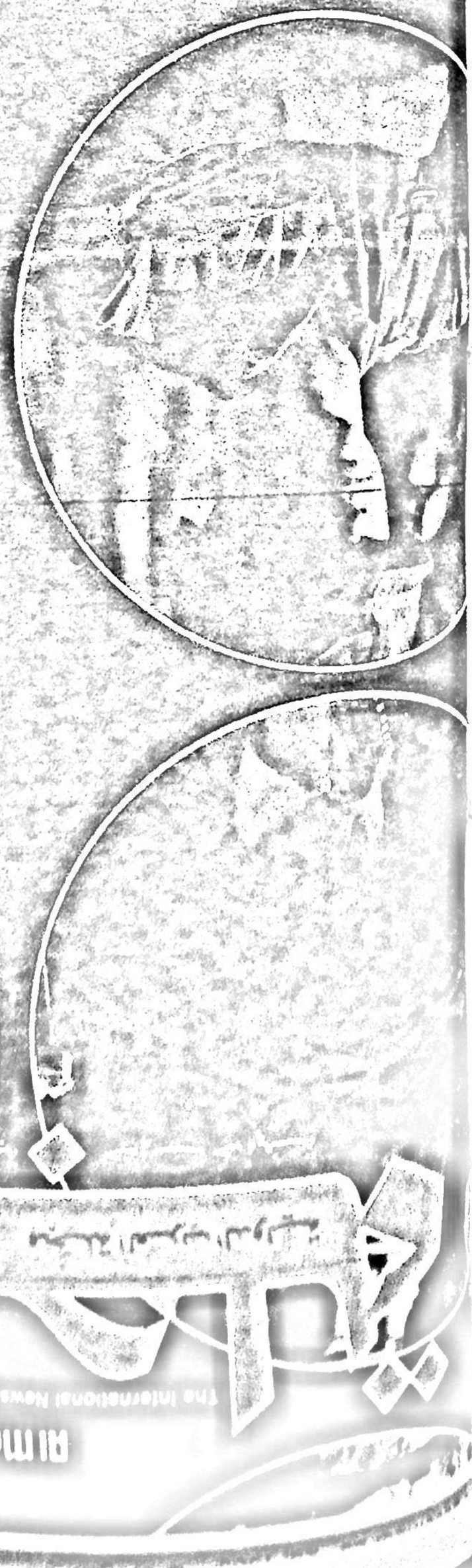

Al Majalla
The International News Magazine of the Arabs
المجلة

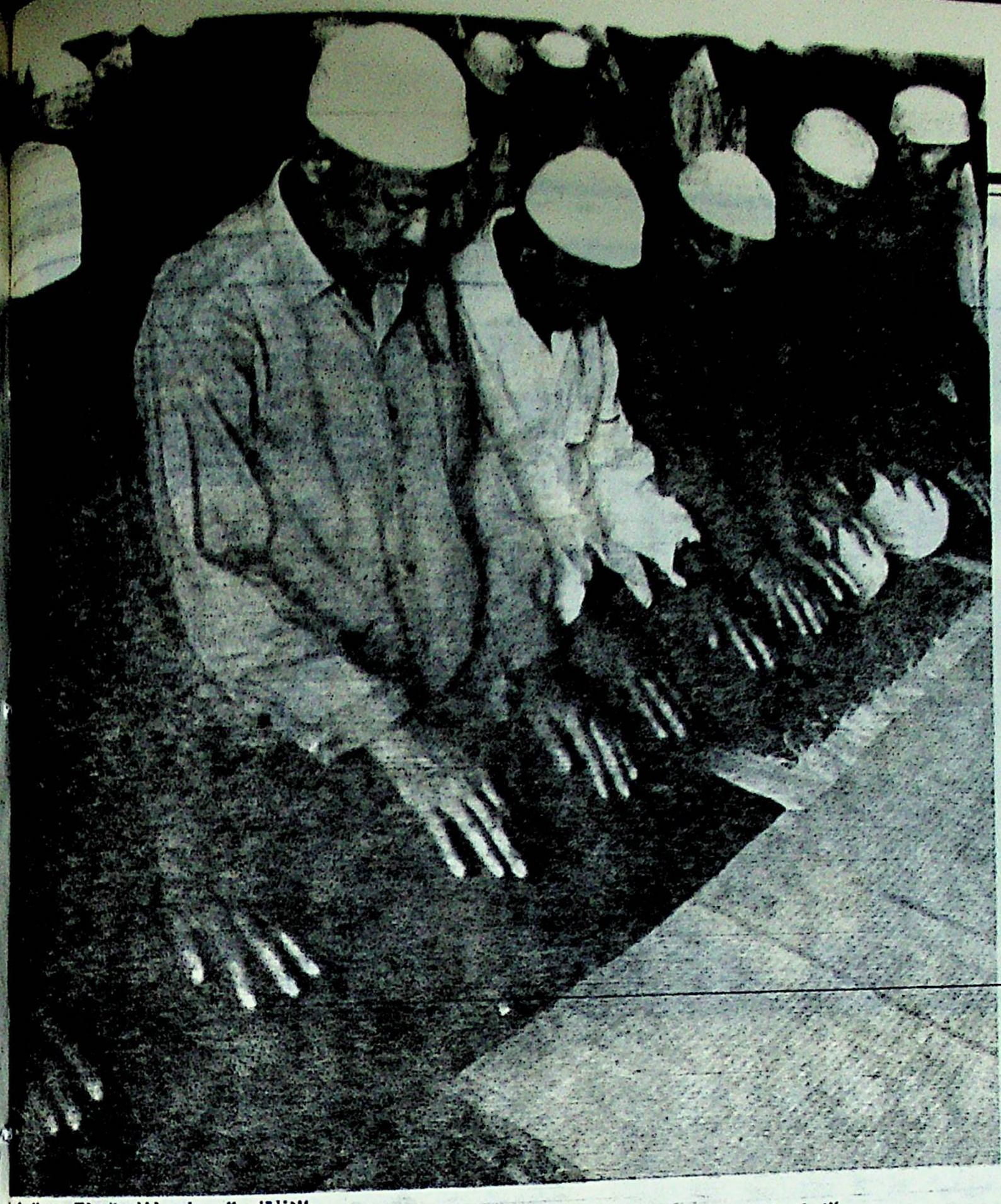

عندما قال الرسول العربي الكريم « أطلبوا العلم ولو في الصين » أراد ، صلى الله عليه وسلم ، أن يؤكد على مدى اهتمام الدين الحنيف بالعلم ، كما رمز بهذا القول الشريف إلى بعد البلاد الصينية الشاسع عن مهبط الوحي .

وعندما فتحت معركة القادسية ، بقيادة سعد بن أبي وقاص ، أبواب الشرق النائي أمام الدعوة المجيدة ، حققت تلك المعركة الخالدة « رغبة » النبي الكريم ، فوصل المسلمون إلى الصين ، لا لطلب العلم وإنما لهداية الشعوب الآسيوية إلى مافيه خلاصها الأبدي .

وتكاد الصين تكون قارة قائمة بذاتها ، إذ تبلغ مساحتها ٩,٧٠٠,٠٠٠ كلم مربع ، أي ما يقارب مساحة أوروبا بكاملها ، ويناهز عدد سكانها المليار نسمة (ثلث البشرية تقريبا) . وينتمي ٩٤ في المئة من سكان الصين إلى عرق متجانس ، إلى حد ما ، يدعى « الهان » . وينتمي بقية السكان إلى اعراق مختلفة . أما المسلمون الصينيون فيتراوح عددهم بين ٨٠ و ١٠٠ مليون نسمة ، إذ ليس هناك إحصاء دقيق لهذا العدد .

وقد وصل الدين الحنيف إلى الصين في القرن الهجري الأول ، إما عن طريق الفتح وإما عن طريق التجارة . فقد تم افتتاح بلاد فارس بكاملها بعد معركة نهاوند سنة ٢٢ هـ.(٦٤٢م) التي سميت « فتح الفتوح » نظرا الى اهميتها التاريخية والنتائج العظيمة التي اسفرت عنها . وفي سنة ٩٥ هـ. وبعد سيطرة المسلمين على بلاد ما وراء النهر ، تقدم الجيش الاسلامي بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي »

الانفتاح الصيني خفف الوطأة عن المؤمنين

الايمان على وجوههم

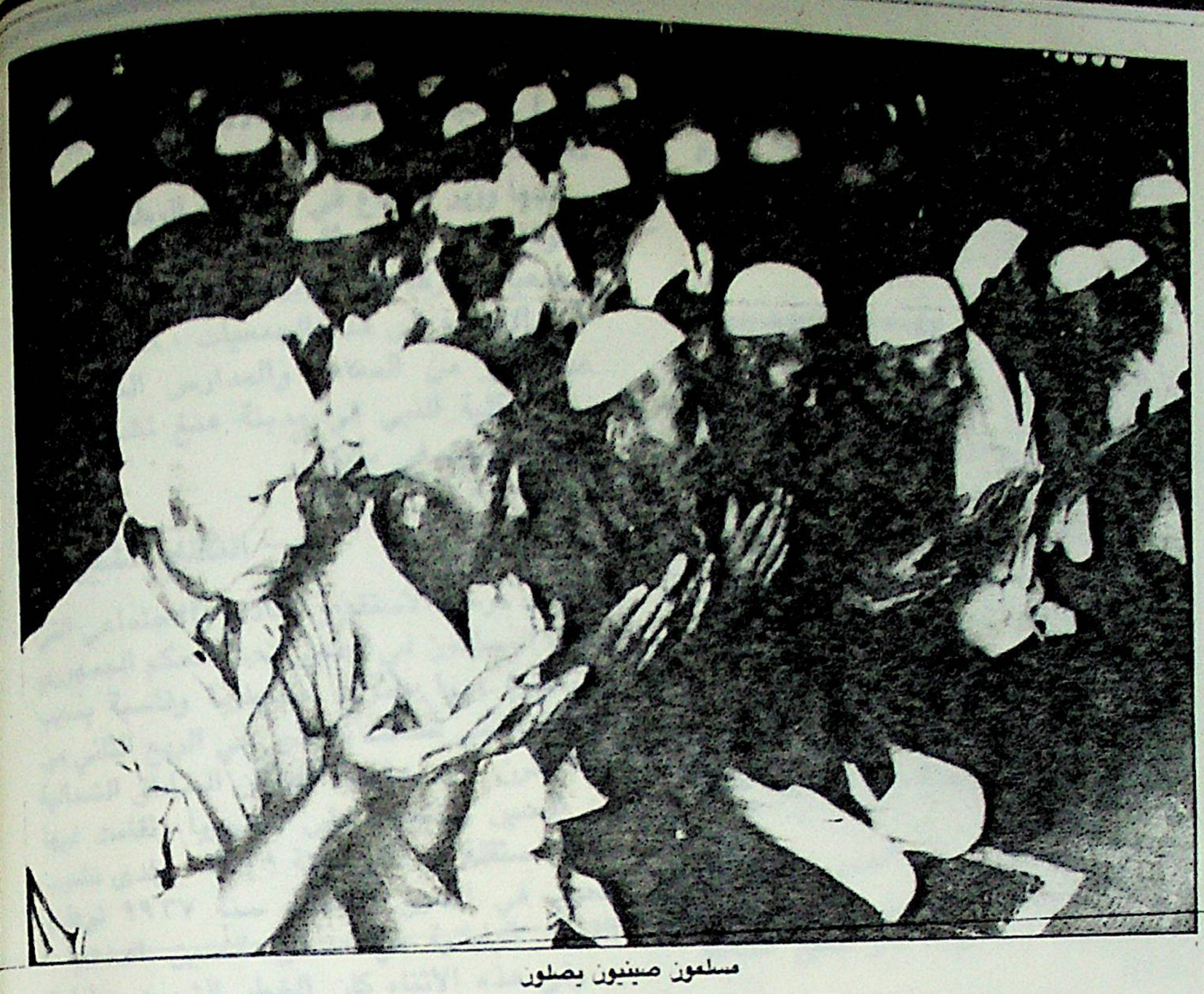

مسلمون صينيون يصلون

إلى تركستان بقسميها الغربي (الروسي) والشرقي (الصيني) على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، فاجتاز نهر جيحون (أموداريا) وافتتح كلا من بخاري وسمرقند ، ووصل إلى سفح هضبة التيبت الشهيرة التي تدعى « سقف العالم » نظراً الى علوها الشاهق (٦٠٠٠م) . ولم تقف مناعة تلك الجبال حاجزا أمام المسلمين ، فقد اجتازوها وواصلوا الزحف مفعمين بايمان صادق وعزم راسخ على إعلاء كلمة الله مهما كانت الصعوبات المادية التي تعترض سبيلهم ، فتم لهم احتلال تركستان بكاملها .

وكان في نية القائد قتيبة بن مسلم الاستمرار في التوغل داخل الأراضي الصينية ، إلا أنه اضطر للتوقف بعدما بلغه موت الخليفة في دمشق .

وعندما اشتد الصراع بين الأمويين والعباسيين واضطربت أمور الخلافة الاسلامية ، توقفت الفتوحات في الشرق . وظن الصينيون أن الخلافات الناشبة بين المسلمين قد تساعدهم على استرداد تركستان وبسط سيطرتهم عليها من جديد ، فحاولوا سنة ١٣٢هـ (٧٥١م) التقدم بجيش كبير نحو الغرب ، ولكن المسلمين صمدوا ببطولة وردوا الجيش الصيني على اعقابه .

واذا كانت الفتوحات العسكرية قد توقفت فان الفتوحات الدينية قد استمرت في أعماق القارة الآسيوية دون توقف . ومع اعتناق المغول للاسلام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ، أصبحت تركستان بشطريها الغربي والشرقي ذات غالبية سكانية إسلامية . ومنها تسربت الدعوة إلى شتى أقاليم الصين الداخلية .

أما المناطق الصينية الساحلية ، الجنوبية والشرقية ، فقد وصلها الاسلام عن طريق التجارة البحرية . وازدهرت العلاقات التجارية بين الموانيء الاسلامية والموانيء الصينية في القرن الهجري الأول في عهد أسرة تانج التي حكمت الصين من سنة ٦١٨ إلى سنة ٩٠٦ للميلاد . وجاء ذكر المسلمين في المصادر الصينية ، في مستهل القرن السابع الميلادي ، حيث يشير المؤرخون الصينيون إلى أن ديناً جديداً ظهر في بلاد العرب ، وذكروا أن هذا الدين يختلف عن البوذية ، وتخلو معابده من التماثيل والصور . كما تحدثت تلك المصادر عن وجود جماعات من المسلمين في بعض المدن الصينية معظمهم من التجار .

وقد زار المسعودي بعض تلك المدن سنة ٣١٠ هـ ، فيقول في كتابه الشهير « مروج الذهب » : « وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها في انسابها . ولا يتزوج أهل كل فخذ من فخذهم ، مثال ذلك أن يكون الرجل من مضر فيتزوج من ربيعة . ويزعمون أن في ذلك صحة النسب وقوام البنية » .

وفي ضوء الفتوحات المغولية التي اجتاحت الاقاليم الاسلامية في القرنين السادس والسابع للهجرة (١٢-١٣ للميلاد) نزحت مجموعات كبيرة من المسلمين ، عربا وفرسا ، إلى داخل الاراضي الصينية فاستقروا فيها واندمجوا مع أهلها ، وتحدث عنهم الرحالة ماركو بولو . كما ذكر الرحالة العربي ابن بطوطة المتوفي سنة ٧٧٨ هـ. (١٣٧٧م) في « رحلته » المعروفة « رحلة ابن بطوطة » والتي أوصلته إلى الصين ، أن « في كل مدينة من تلك المدن ملحقة (أي حي) للمسلمين يختصون بسكناها ولهم فيها المساجد ، وهم ذوو مكانة عالية عند أهل الصين » .

وبما أن الدين الاسلامي لا يشتمل على رهبانيات أو مبشرين وظيفتهم نشر ديانتهم في البلدان الأخرى ، كما هي الحال بالنسبة للمسيحية بشتى فروعها ، فان كل مسلم معني بأمر الدعوة لدينه أيا كانت منزلته وأيا كان عمله . ومن الامثلة البارزة على ذلك ، في العصر الحاضر ، أن القوات التركية الاسلامية التي شاركت ، سنة ١٩٥٥ ، في القتال بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، ساهمت بالاضافة إلى مهماتها القتالية ، في نشر تعاليم الاسلام ، لأول مرة ، في كوريا . فنشأت في مدينة سيوول عاصمة كوريا الجنوبية مجموعة إسلامية لها مسجدها ، كما نشأ اتحاد المسلمين الكوريين الذي يضم مايزيد عن خمسة آلاف مسلم .

من هنا نفهم الدور الهام الذي قام به التجار المسلمون في نشر تعاليم الدين الحنيف بين سكان الصين فدخلوا « في دين الله افواجا » .

◆ العهد الجمهوري

وبما أن النظام الشيوعي يتجاهل العقائد الدينية ، فمن الصعب الحصول على إحصائيات دقيقة للمسلمين في الصين الشعبية . والأرقام التقديرية التي حصلنا عليها وردت في كتاب « البلدان الاسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر » من تأليف الدكتور محمد السيد غلاب والدكتور حسن عبد القادر صالح والسيد محمود شاكر ، والصادر عن جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في مدينة الرياض . ويشير المؤلفون إلى أن « أية دراسة لمسلمي الصين تعتمد ، بصفة أساسية ، على المعلومات السابقة على قيام الحكم الشيوعي في تلك البلاد » .

> المسلمون الصينيون سبقوا الشيوعيين في الثورة ضد النظام الامبراطوري

وقد قام النظام الجمهوري في الصين سنة ١٩١١ بقيادة صون يات صن فأنهى فترة طويلة جدا من الحكم الامبراطوري . وساعد الزعيم الوطني الصيني على النجاح ، التفاف الجماهير الصينية حوله أملا في الخلاص من الحكم الأمبراطوري الذي بلغ درجة متدهورة جداً من الفوضى والفساد والضعف مما أطمع الدول الكبرى الاستعمارية في الاراضي الصينية الواسعة . وكان من الطبيعي أن يدعم المسلمون الصينيون قيام الجمهورية لكثرة ما عانوه من ظلم واستبداد في أواخر القرن الماضي أثناء الحكم الأمبراطوري . ولم يكن المسلمون ليرضخوا للظلم النازل بهم فقاموا بثورات متتالية كانت تقمع بقسوة .

ولدى قيام الجمهورية استعاد المسلمون شخصيتهم الدينية وساهموا بفعالية في انجاح مؤسسات النظام الجديد الذي اعتبرهم احد العناصر الخمسة التي تتكون منها الامة الصينية ، وهي : العنصر الصيني ، والمانشوي ، والمغولي ، والمسلم (الهوى) ، والتبيتي . واصبح العلم الصيني ، تبعا لذلك ، مؤلفا من خمسة الوان هي الأحمر والاصفر والأزرق والأبيض والأسود ، ويرمز اللون الابيض إلى العنصر المسلم .

وكان المسلمون يشكلون الاكثرية الساحقة في أقاليم داخلية عدة منها :

١ - إقليم تركستان الشرقية (سينكيانغ) وتبلغ مساحته ١.٧١٠.٧٤٥ كلم مربع ويقدر عدد سكانه بتسعة ملايين نسمة منهم ٩٥ في المئة يدينون بالاسلام ، ويدين الباقون بالبوذية والمسيحية . وقد انتشرت اللغة العربية في هذا الاقليم مع دخول الاسلام اليه ، ثم انتشرت اللغة الفارسية وبعدها اللغة التركية . أما اليوم فاللغة الصينية ، وحدها ، هي السائدة .

وكانت تركستان الشرقية ، في العهد الجمهوري ، تحت سيطرة الروس واعيدت إلى الصين سنة ١٩٤٣ . وفي سنة ١٩٤٩ فرض الحكم الشيوعي على الاقليم فمنحت تركستان الشرقية

الاستقلال الذاتي داخل الكيان الصيني الجديد ، وعرفت باسم سينكيانغ ، اي الاقليم الجديد .

٢ ـ إقليم كانسو : وهو يلي تركستان الشرقية مباشرة ، مساحته ٤٠٠ الف كلم مربع وعدد سكانه ١٨ مليون نسمة ويتجاوز عدد المسلمين فيه ١٢ مليون نسمة . وقد اشتهر هذا الاقليم بكثرة الثورات التي قام بها سكانه المسلمون ضد الحكم الامبراطوري في القرن الماضي .

وقد لجأ الحكم الشيوعي إلى تجزئة ولاية كانسو في مقاطعات عدة لتوزيع المسلمين وخنق تحركاتهم ، ففصلت عن كانسو مدينتان كبيرتان هما هوتشيو وسينينغ والحقتا بالتيبت ، ثم فصل جزء كبير مساحته ٦٦ الف كلم مربع وعدد سكانه مليونان ودعي باسم تينغ هسيا .

٣ ـ إقليم يونان : مساحته ٤٣٧ الف كلم مربع وعدد سكانه ٢٤ مليون نسمة ، بينهم حوالي ٨ ملايين مسلم .

ويشتهر إقليم يونان بجباله المكسوة بالغابات والوديان العميقة وكثرة الانهار ، كنهر الميكونغ والنهر الاحمر والنهر الاسود والنهر الازرق ، ويملك الصينيون اليوذيون اجود مناطق الاقليم ، وخاصة السهول المشهورة بزراعة الارز .

وقد وصل الاسلام الى يونان على يد رجل عرف باسم « السيد الأجل » واسمه الحقيقي شمس الدين عمر ، دخل في خدمة الحكومة الصينية فولته إقليم يونان فنجح في ادارته واشاع العدل والأمن والنظام في ربوعه ، وقد انتشر الاسلام ، في عهده ، انتشارا واسعا ، وبقيت أسرته تتمتع بمكانة رفيعة حتى هذا القرن . ومع قيام النظام الجمهوري سنة ١٩١٢ تحسنت أحوال المسلمين في يونان فأسسوا الجمعيات وانشأوا المدارس ، واقبلوا على تعلم اللغة العربية . ولكن الأمر تغير بعد وصول الشيوعيين إلى الحكم حيث تعرضت الحريات الدينية للاضطهاد وحظر على المسلمين القيام بأي نشاط يتنافى مع النظام القائم ومؤسساته السياسية والعقائدية .

النظام الشيوعي
جزأ المسلمين في مقاطعات عدة
تمهيداً لخنق تحركاتهم !

٤ ـ إقليم شي : مساحته ١٩٦ الف كلم مربع وعدد سكانه حوالي ٢٣ مليونا بينهم قرابة ٨ ملايين مسلم . واهم تجمع للمسلمين مدينة سنجان ، وكان فيها ، في العهد الجمهوري ، سبعة مساجد .

ويتوزع باقي المسلمين على سائر الولايات الصينية حيث تراوح نسبتهم بين ١٥ في المئة (ولاية شانسي) و ١ في المئة (ولاية كيانغ سو) . وتبلغ نسبة المسلمين في الصين بكاملها ١٠ في المئة من مجموع السكان .

وقد أتاح العهد الجمهوري السابق للمسلمين الفرص لتحسين أوضاعهم فانشأوا جمعيات خاصة بهم ، من أهمها :

١ ـ جمعية تقدم مسلمي الصين : وكان ابرز اهتماماتها تعليم ابناء المسلمين . وبلغ عدد فروع الجمعية ثلاثة آلاف موزعة على جميع المناطق الصينية .

٢ ـ جمعية الأدب الاسلامي : اسسها الحاج هلال الدين هاته تشينغ سنة ١٣٤٤ هـ. في مدينة شنغهاي ، وقد هدفت هذه الجمعية الى :

ـ عرض تعاليم الاسلام على نحو مبسط ويسير الفهم .

ـ نشر التعليم الاسلامي بين ابناء المسلمين .

ـ توثيق علاقات المودة والتقارب بين مسلمي الصين .

ـ تنشيط أعمال البر والجهود الاجتماعية الهادفة إلى رفع مستوى المسلمين .

٣ ـ دار المعلمين الاسلامية في بكين ، تأسست سنة ١٣٤٨ هـ. وكان لها مطبعتان صينية وعربية ، وعندما استولى الشيوعيون على الحكم تم تعديل مناهجها والحقت بمعهد الاقليات في بكين .

٤ ـ الجمعية الاتحادية الاسلامية لكل الصين ، تأسست سنة ١٣٥٧ هـ. في مدينة هانكيو وكان يرأسها وزير الدفاع في الحكومة الوطنية عمر باي تشونغ هشي . وعلى اثر قيام الحكم الشيوعي نقلت الجمعية مركزها إلى جزيرة فورموزا .

وبالاضافة إلى هذه الجمعيات ، كان للمسلمين عدد كبير من المعاهد والمدارس الخاصة بهم منها : كلية النبي في مدينة هنغ تشو ومدرسة الهلال للبنات في بكين .

النظلم الشيوعي

وبعد مرحلة الاستقرار المادي والاجتماعي التي عرفها المسلمون في الصين تحت الحكم الجمهوري (الوطني) مروا بفترات مضطربة وقاسية بسبب الأحداث التي عصفت بالصين في الربع الثاني من هذا القرن . فقد هاجمت اليابان المناطق الشمالية من الصين وسيطرت على منشوريا واقامت فيها سلطة مستقلة عن بكين سنة ١٩٣١ . ولدى نشوب الحرب في الشرق الاقصى سنة ١٩٣٧ توغلت القوات اليابانية في مناطق الصين الداخلية .

وفي هذه الأثناء كان الخطر الشيوعي بقيادة ماوتسي تونغ يستفحل باستمرار ، وكانت العلاقات بين الحزب الشيوعي الصيني والحكم الجمهوري الوطني تتغير حسب الظروف . فبعد فترة من الصراعات الدامية بين الفريقين اتفقا ، امام الهجوم الياباني ، على إقامة « جبهة موحدة » استمرت من ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٦ ، ثم انفجرت الحرب الأهلية بين الفريقين وانتهت بانتصار الشيوعيين في أول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٩ . واعلنوا قيام « جمهورية الصين الشعبية » بزعامة ماوتسي تونغ نفسه .

وكان كل فريق يسعى إلى التقرب من المسلمين طمعا بكسب دعمهم له ضد الفريقين الآخرين ، فنتج عن هذا الصراع بعض التمزق في صفوف المسلمين فلا يدرون إلى جانب أي فريق يقفون . وبسبب تبدل السلطات المحلية كان المسلمون يتعرضون إلى عمليات انتقامية متتالية .

ولدى انتصار الشيوعيين واستيلائهم على السلطة أخذوا المسلمين باللين ، أول الأمر ، لحاجتهم إلى دعم سلطتهم الناشئة . غير أن الفئات الاسلامية الموالية للنظام الجمهوري الوطني تعرضت منذ البداية لانتقام الحكام الجدد ، فقتل من قتل وسجن من سجن وفر الناجون إلى فورموزا حيث استمر النظام الجمهوري فيها بقيادة تشان كاي شيك .

وما أن استقر الشيوعيون في الحكم حتى تكشفت حقيقة نواياهم من أتباع الديانات السماوية والوثنية في شكل عام ، ومن المسلمين في شكل خاص .

والاسلام ، باعتباره دينا ودولة ، اي انه إيمان وممارسة في وقت واحد ، يشكل خطراً كبيراً على العقيدة الشيوعية لانها ، هي الاخرى ، نظرية وممارسة في الوقت ذاته . لذلك عمد النظام الشيوعي الجديد في الصين ، في المرحلة الأولى إلى نشر العقيدة الشيوعية بين المسلمين وذلك بتأسيس جمعية اسلامية شعبية كان من زعمائها برهان الدين شهيدي حاكم سينكيانغ ، وسيف الدين وابراهيم وابو شنغ من شنغهاي ، ومحمد مكين من يونان . وقد افتتحت هذه الجمعية عددا

ذبح الخراف لمناسبة عيد الاضحى للمرة الاولى في بكين منذ ١٥ سنة

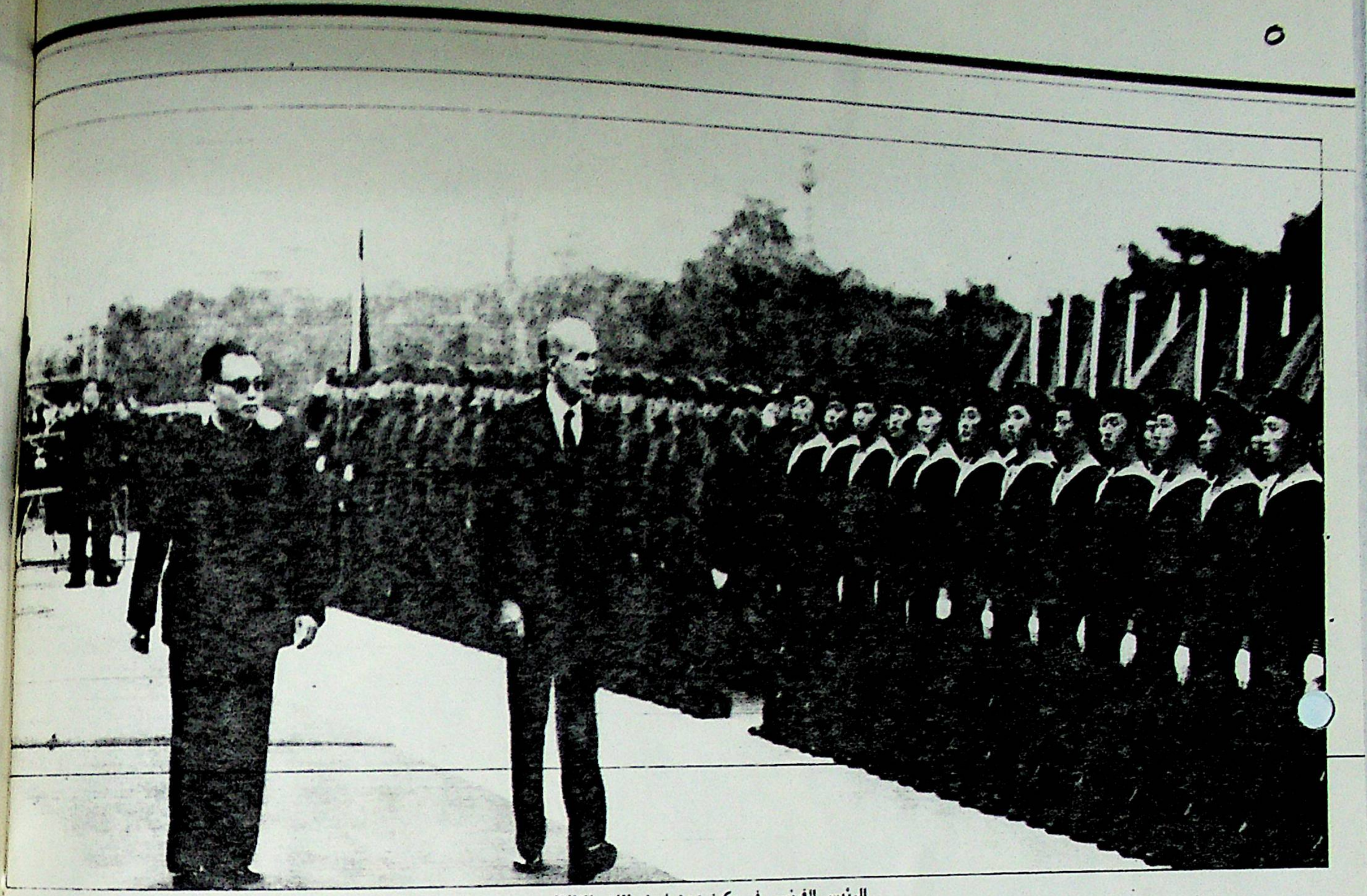

الرئيس الفرنسي في بكين : من ابرز مظاهر الانفتاح

من الفروع والمراكز التعليمية في المناطق التي يتكاثر فيها المسلمون ، كما عملت على إصدار الكتب والنشرات المختلفة الداعية إلى تأييد السلطة الجديدة والتعريف بالمباديء الشيوعية .

ويبدو أن هذه الخطة لم تحقق أهداف النظام الشيوعي بين المسلمين ، بشكل ناجح بسبب تمسك المسلمين بمعتقداتهم وحفاظهم على تقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية النابعة من الدين الحنيف ، لذلك لجأ الشيوعيون إلى تعديل خططهم وبدأوا يفرضون مبادىء النظام الشيوعي بالقوة ، فجزأوا المناطق ذات الاكثرية السكانية الاسلامية لتفتيت التكتلات الدينية (كما مر ذكره بالنسبة الى اقليم كانسو) ووضعت الدولة يدها على الأوقاف فتوقفت تلك الموارد الذاتية عن المساجد والمدارس الاسلامية ، فتعطل نشاطها . ثم اضطرت هذه المدارس إلى وقف نشاطها نهائيا مع توحيد التعليم في الصين الشعبية باشراف مباشر وصارم من قبل الأجهزة الرسمية الشيوعية مما ادى إلى إبعاد الأجيال الجديدة من المسلمين عن دينهم بل عن اي تفكير ديني أصلا .

ومن أخطر ما تعرض له الشباب المسلم في ظل النظام الشيوعي إجباره على المشاركة في معسكرات العمل حيث يحشد الشباب ذكورا وإناثا ليعملوا معا ويعيشوا معا في ظروف تتناف تماما مع القيم الدينية . وقد حاول المسلمون الاعتراض على هذا التدبير وقاموا بحركة عصيان في مدينة كاشغر في تركستان الشرقية احتجاجا على إجبار الفتيات المسلمات على الحياة في معسكرات العمل مع الفتيان ، وتحولت حركة العصيان إلى معركة بين المسلمين والقوات الحكومية سنة ١٣٧٧ هـ. (١٩٥٧م) سقط فيها من المسلمين حوالي ٣٥٠٠ شهيد .

وبدافع صهر فئات الشعب الصيني في بوتقة الوحدة الوطنية الشيوعية قاومت السلطات جميع التقاليد والعادات والشعائر التي تتناقض مع المبادىء الشيوعية ، كالمآكل والملبس والشراب وعادات دفن الموتى ومراسم الزواج والولادة والارث وغيرها .

وازداد الأمر سوءاً مع قيام الثورة الثقافية حيث شنت حملات مسعورة ضد كل ما يتناف مع تعاليم « الكتاب الأحمر » انجيل الشيوعية الماوية . وكان كل تحرك معارض من المسلمين يقاوم بعنف وشراسة .

◆ خف الاضطهاد

لكن مع مطلع ١٩٧٩ ، بدأت السلطات الصينية تتخل عن اساليب الاضطهاد التي مورست ، خصوصا خلال مرحلة الثورة الثقافية ، فاعطت المسلمين حقهم في التجمع في المساجد . كما تعهدت الحكومة باعادة بناء الاماكن الرئيسية للعبادة التي دمرت خلال الثورة الثقافية . لكن كثيراً من المسلمين الذين ارهبتهم التغيرات السياسية العديدة انتظروا طويلا قبل عودتهم الى المساجد . واليوم يستطيع الناس ان يمارسوا شعائرهم الدينية أمام العيان واختفت اجراءات التعبد سراً .

وعلى وجه الخصوص . تحدد موقف الحكومة الصينية رسميا في شهر حزيران (يونيو) ١٩٨٠ حين ظهر قانون العقوبات الجديد الذي تنص المادة ١٤٧ فيه على الحبس سنتين لكل مسؤول يتعرض لحرية العقيدة الدينية .

ويعود قرار الحكومة الصينية باعادة فتح مراكز التعبد والصلاة إلى انها تسعى الى تحقيق سياسة انفتاح على العالم ، والى التقرب من دول الغرب ، كذلك إلى محو الصورة البشعة التي حملها العالم عن الصين اثر فترة الارهاب الديني . كذلك يعود هذا القرار الى اتفاق الصين مع اليابان وهو الموقع عام ١٩٧٨ حين بذلت رابطة البوذيين اليابانيين ضغوطا شديدة على الصين لاعادة فتح المعابد البوذية في الصين .

وكان على الحكومة ان تمنح الحقوق نفسها في الحرية الدينية للمسلمين والمسيحيين . وفي عام ١٩٥٠ كان هناك مليونا مسيحي في الصين ، بينما لا يوجد اليوم اكثر من عشرة الاف مسيحي يعيشون داخل المدن الكبرى .

ومن جهة اخرى تشكل الملايين من المسلمين في الصين مشكلة جدية للسلطات هناك . فخلال الثورة الثقافية نجح المسلمون القاطنون في المدن الكبرى في صد هجمات الحرس الاحمر ، واضطرت اللجان الثورية ان تأخذ في الاعتبار آراء المجموعات الاسلامية لدى اتخاذ قرارات كبيرة على مستوى البلديات . وحاليا تشعر بكين بالخوف من التيار الديني الاسلامي الذي يموج بمنطقة الشرق الادنى متجها نحو الشرق ، وتخشى ان يعصف بالمناطق التي تسكنها اغلبية مسلمة وفيما لو أسيء تطبيق سياسة تحرير العقائد الدينية فان من الممكن ان يحاول المسلمون الانشقاق عن الامة الصينية ، التي يختلفون عنها بالفكر وبالاسلوب الحياتي ، والتقرب من اخوتهم في تركستان السوفياتية . وهذا يعني نهاية فترة الاستقرار في منطقة سينكيانغ ، وبالتالي احتمال نشوء نزاع مع الاتحاد السوفياتي ■

المراجع

بالاضافة إلى كتاب « البلدان الاسلامية » الذي اشرنا إليه في السياق ، اعتمدنا المراجع التالية :

– « المسلمون تحت السيطرة الشيوعية » تاليف محمود شاكر .
– « فتوح البلدان » للبلاذري .
– « رحلة ابن بطوطة » .
– « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودي .
– موسوعة « اونيفرسالس » الفرنسية .